تمثّلات الأنا والآخر في رواية" المرفوضون" لإبراهيم سعدي

الأستاذة: هجيرة بوسكين
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية

ملخص:

يرمي هذا المقال إلى تقصي حضور مفهومي "الأنا" و"الآخر" في الخطاب الروائي الجزائري من خلال البحث في الخصوصية التي تطبع الكتابة عن "الآخر" الأجنبي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، ومحاولة إبراز تمثّلات هذا الحضور في أحد النصوص الروائية التي تناولت العلاقة الجدلية بين "الأنا" الجزائري و"الآخر" الفرنسي وقدمت للقارئ صورة حية وواقعية تعكس رفض "الآخر" للأنا" الجزائري، هذا الرفض الذي نجده مقرونا بكل فضاءات "الآخر" وأمكنته المختلفة على امتداد صفحات الرواية، انطلاقا من العنوان إلى غاية آخر سطر فيها أين تنتهي حالة الرفض التي كان يعيشها البطل بمقتله على يد "الآخر" الفرنسي.

مقدمة:

لا يخلو خطاب من الخطابات الإبداعية عامة والروائية خاصة من تمثيل للذات أو للآخر، فالتمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة عن نفسها وعن الآخر، وهو الذي يصنع لهذه الجماعة معادلا لما يسميه **بول ريكور** "الهوية السردية" للجماعة، ولعل الذات العربية لم تصل إلى هذه الدرجة من الوعي الفكري إلاّ مع ظهور الإسلام الذي وفّر لها إمكانية استيعاب ثقافة وفكر وحضارة الآخر المختلف، وبهذه الخصوصية في الاستيعاب اشتقت الذات العربية فرادتها المميزة على مستوي الهوية، وهو الأمر الذي انعكس بشكل جلي في كلّ أشكال الخطاب الذي أنتجته. لقد حملت الذات العربية على عاتقها - بعد كلّ ما واجهته من مطامع عكست هيمنة الآخر الغربي ورغبته في تكريس مبدإ المركزية الغربية – مسؤولية الحفاظ على مقومات هويتها والتصدي لكل ما حملته لها الحداثة

الغربية من خيبات وانكسارات، وقد عكست لنا الخطابات الفكرية والروائية الحديثة هذا المنحى وهذه الرؤية الجديدة.

لقد اهتمت النصوص الروائية العربية عامة والجزائرية بشكل خاص بالوقوف عند أهم المحطّات التاريخية التي جمعت "**الأنا" العربي بـ"الآخر" الغربي**، فكان للحروب النصيب الأكبر من الاهتمام والذكر باعتبارها تعدّ من أقسى لحظات المواجهة بينهما. لقد شكلت الحروب بأنواعها المختلفة: دينية، سياسية، عسكرية، أو ثقافية الصفحات الأكثر سوادا من تاريخ العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"، وقد ظلّ هذا الإرث التاريخي الاستعماري يضغط بقوّة علي حاضر العلاقة بينهما، ويلغي في المقابل الصفحات التاريخية المشرقة التي ضمت في ثناياها صورا عن التعاون والتعايش والتثاقف بين "الأنا" العربي و"الآخر" الغربي.

والمتتبع للنصوص الروائية الجزائرية يجد أن موضوع الثورة التحريرية - بالإضافة إلى موضوع الهجرة- كثيرا ما كان يوظف في هذه النصوص كمرجع تاريخي يؤطر هذه العلاقة، يعود إليه الكتّاب لتفسير التنافر الدّائم بين **الأنا والآخر** في أعمالهم الرّوائية، وهو الأمر الذي سنوضحه عند تحليلنا لرواية **"المرفوضون" لإبراهيم سعدي**[1] الّتي تفسّر هذا العداء الأزلي بين **الأنا الجزائري** و**الآخر الفرنسي** من خلال الرّجوع إلى سرد فصول من الثورة الجزائرية أراد الكاتب من خلالها محاولة تبرير ما يعانيه المهاجر الجزائري في الأراضي الفرنسية من ظلم ورفض وصلا حدّ القتل.

وعليه نهدف في هذا المقال من خلال تحليلنا لرواية "**المرفوضون**" إلى الإجابة عن الإشكالات التي يمكن أن نصوغها على النحو الآتي: كيف يمكن للتاريخ في الرواية أن ينصف"الآخر"؟ وإلى أي مدى نجح الخطاب الروائي الجزائري في تمثيله للآخر أن يتحرّر من ثقافة الاختزال؟ وكيف يمكن أن يقدّم تمثيل الآخر في العمل الروائي صورة عن الذات؟

1- تمثلات "الآخر" والهُويّة في روايات الهجرة:

لقد فرضت قضيّة **الاغتراب** وموضوع **"الهجرة"** نفسها على الرّواية العربية المعاصرة عموما، والرّواية الجزائرية بصورة خاصّة باعتبارها أحد الرّوافد الهامة للفكر الإنساني وإحدى أهمِّ مكونات الواقع الاجتماعي، النفسي، السّياسي والاقتصادي للفرد والمجتمع، وباعتبارها أيضا إشكالية مرتبطة بحياة فئة عريضة من الناس يعيشون التمزّق والضياع

في ديار الغربة التي اختاروها أو فُرِضت عليهم قصرا بسبب ظروف الاحتلال أو الأوضاع الاقتصادية الصّعبة في موطنهم الأصلي.

وكثيرا ما عبّرت الأعمال الرّوائية عن حالة البطل **المأزوم** في غير واقعه، بطلٌ يجد نفسه أمام قوىً طاغية ترتبط بالمكان والسّلطة، ومن هنا تتشكل لديه **أزمة هوية** حادة سبّبها له هذا الواقع الاجتماعي والثقافي الجديد، هذا الواقع الذي **يهيمن عليه الآخر هيمنة تامة،** فيجد المهاجر العربي نفسه ضمن مَناخ ثقافي جديد يضطرّ مجبرا على التكيُّف معه، وهنا تثار مسألة **الهوية الثقافية** الّتي ترتبط **"بالاستعداد الانفتاحي"** على الثقافة الغربية، وبقدر ما استطاع المهاجر الانفتاح على هذا الواقع الثقافي الجديد، بقدر ما ازداد **تواصله مع الآخر.**[2]

وفي غياب هذا التّواصل الإيجابي فإنّ **أزمة الذّات** ستظلّ مستمرة، وسيظلّ الآخر مصدر تهديد لها، ومن هنا فقد أصبحت الذّات مهدّدة مرتين: من ناحية المحافظة على أصالتها وهذا يعني التّخلّف عن **"الآخر"** وربّما **الموت**، أو القدرة على التغيير والانفتاح على **"الآخر"** ممّا يحقّق لها التواصل والتعايش معه.

ونحن إذ نرى بضرورة انفتاح المهاجر على ثقافة **الآخر**، فإنّنا لا نقصد بذلك انسلاخ المهاجر العربي عن هويته الثّقافية، وهو ما يهدف إليه **"الآخر"** ضمن مركزيته التي تسعى إلى "**غربنة**" الآخر **العربي،** ذلك أنّه يوجد تلازم واضح بين "**الأخرنة**" أو "**التّأخرن**"[3] والنّزعة الاستعمارية، فكلاهما يمارس قوّة معيّنة مع اختلاف في كيفية ممارسة هذه القوة، إذ لم تعد القوّة تمارس من فوق (**قوة كولونيالية**) بقدر ما هي فرض لنموذج ثقافي وحضاري على **الآخر**.

ولعلّ المتتبّع للأعمال الرّوائية الجزائرية الّتي تناولت موضوع "**الهجرة**"، سيلاحظ أنّ أغلب هذه الرّوايات قد قدمت لنا **الآخر الأجنبي** في صورة **الآخر العنصري** الرّافض لوجود **الآخر العربي** في بلاده، لذلك نجده يستغلّه بكل الطّرق الممكنة.

ومن هنا فقد قدّمت لنا هذه الأعمال **صورة نمطيّة** ظلت مسيطرة لفترة طويلة عن **"الأنا" الجزائري**، فهو الشّخص الّذي يقبل الأعمال الوضيعة الّتي لا يقبلها **"الآخر" الفرنسي،** كالعمل لساعات طويلة في المناجم والمصانع، وهو الّذي كثيرا ما نجده يغيّر اسمه العربي ويلجأ إلى أسماء فرنسية بحتة ليُخفي جنسيته الجزائرية وقوميّته العربيّة، ذلك أن **العربي** عموما و**الجزائري** بصورة خاصة هو شخص **مرفوض** في **فرنسا،** يتعرّض

لمعاملة تمييزيّة وعنصريّة سواء في المدارس أم أماكن السّكن أم العمل أم حتى الأماكن العمومية كالمقاهي والحدائق.

ولعلّ من بين أهمّ النّصوص الرّوائية الّتي جسّدت هذه المعاناة، رواية "**المرفوضون**" **لإبراهيم سعدي** التي تحكي لنا يوميات بطلها "أحمد" الّذي هاجر من وطنه أثناء الثورة التّحريرية ليجد نفسه في أرض غريبة رفقة مجموعة من العمّال الجزائريين الّذين انتهى بهم المطاف إمّا مشردين يسكنون مخابئ تحت الجسور، أو مجانين يجوبون الشوارع.

1- تمثلات "الأنا" و"الآخر" في رواية "المرفوضون":

لقد خرجت الجزائر من حرب التحرير بتركة استعمارية كان عليها العمل الجاد للخروج منها: « فلم يكن ما يسمى بالاقتصاد الجزائري، بل كان هناك اقتصاد فرنسي بالجزائر، مسيّر من العاصمة تحت الضغط الدّائم لباريس، فكان لا بدّ من إعادة بناء أصيلة مبنية على أسس علميّة جديدة.» [4]، بناءٌ يساير النّجاح السّياسي، ويصل زمن الثورة الوطنية بزمن الثّورة الديمقراطية.

ولكي تخرج الجزائر من حالة الرّكود الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الّتي كانت تعيشها غداة الاستقلال، اختارت الاشتراكيّة نظاما إيديولوجيا وفكريا وثقافيا لتحقيق مشروع بناءٍ مجتمع متحضّر وعصري، هذا البناء الّذي يقتضي دون شك اعتماد قاعدة "**معرفة الأنا**" قاعدة أساسيّة ينبغي الاهتمام بها في بناء المجتمع، والمقصود بمعرفة "**الأنا**" هنا: « **و**جوب حصر ومعرفة الأصول الحضارية والثقافية والتّاريخية الّتي ينشأ بموجبها المجتمع، وتكون سببا في تطوره أو تدهوره..» [5]، فمن هذه الأصول تتشكّل صورة المجتمع وأفكاره وعاداته اليومية.

أمّا القاعدة الثّانية الّتي يعتمد عليها بناء المجتمع فهي "**معرفة الآخر**": «... ويعتبر بُعد "الآخر" ومعرفته والمسافة الّتي بيني وبينه هي القواعد الّتي يبنى عليها المجتمع المتحرّك، الّذي هو أوّلا نتاج عالمنا الداخلي، وثانيا هو نتيجة لعمليّة تطوّرية للتّداخل الحاصل بين "الأنا" و"الآخر"، وعالمنا الدّاخلي هو مبعث الأفكار المنتجة والمحافظة على المجتمع.» [6]

ونقصد "بالآخر" هنا المجتمع الأجنبي المتميِّز عن المجتمع الأصل، والّذي يُعتبر عنصرا يحرِّك المجتمعات ويطوّرها، فبتعارض الأفكار والقوانين والقيم المؤسسة لكل منهما، ينشأ شبه صراع معنوي وداخلي يجعل هذين المجتمعين يسعيان دائما للحفاظ على كيانهما، وكلُّ مجتمع يرغب في تجاوز المجتمع الآخر بإنتاج أفكار جديدة، واستحداث قوانين تساير تطوّره.

وإذا عدنا إلى المجتمع الجزائري نجد بأنّه لم يحقّق ذاته ويؤكّدها واقعًا، إلاّ حين أدرك أنّه مختلف عن "الآخر" الفرنسي اختلافا كبيرا، فالفرنسي هو أجنبي عن هذه الأرض وعن حضارة هذا الشّعب وتاريخه وثقافته ودينه، وبالتالي فهو دخيل على المجتمع الجزائري ومرفوض.

وانطلاقا من مبدإ أن الآخر الأجنبي مرفوض في غير أرضه، فإنّ الأنا الجزائري مرفوضٌ في الأراضي الفرنسية، كما هي حال الآخر الفرنسي الّذي صار مرفوضا من قبل المجتمع الجزائري الذي ثار ضده وأخرجه من أرضه.

فلا عجب إذن أنّ يعاني المهاجر الجزائري من رفض الآخر الفرنسي الّذي يراه عنصرا دخيلا ينبغي إبعاده عن الأراضي الفرنسية، وإن لم يتحقق له ذلك فعليه استغلاله بأبشع الطرق انتقاما منه على طرده من أرضه.

ولعل رواية "المرفوضون" هي خير إثبات عن رفض الآخر الفرنسي للأنا الجزائري، فالرّواية الّتي صدرت سنة1981 هي شهادة عما يعانيه المهاجر الجزائري من ظلم واستغلال من قبل الآخر، كما أنها تجسيد حيّ وواقعي لسلسلة من حالات الرّفض المستمر الّذي يعانيه الجزائري المغترب في مجتمع الآخر، هذا المجتمع الّذي يختلف عن مجتمعه دينا، وحضارة، وثقافة، وفكرا. وهو الرّفض الّذي نجده مقرونا بكل فضاءات "الآخر" وأمكنته المختلفة على امتداد صفحات الرّواية، انطلاقا من العنوان إلى غاية آخر سطر فيها أين تنتهي حالة الرّفض التي كان يعيشها البطل بمقتله على يد الآخر الفرنسي.

2- 1 -تمثلات الأنا في رواية "المرفوضون":

2- 1- أ: البطل المغترب وسلطة الماضي:

إنّ المتأمّل في البناء الرّوائي للنّص يجد أنّه يَعمَد إلى فضح نفسيّة البطل "أحمد" (**الأنا**) عن طريق سلسلة الاسترجاعات والتأمّلات الدّاخلية الّتي وظّفها الكاتب بكثرة في خطابه الرّوائي، إذ كثيرا ما كان البطل يعبّر عن احتقاره لذاته من خلال استذكاره لمواقف مخزية مرّت به في ماضيه: « .... وكان القرف العميق الّذي استولى عليه قد جعله لا يأبه بالنّادل ولا بغيره... حينما انصرف أخذ يلوم نفسه على مبادرته إيّاها بالحديث، لم يكن من عادته محادثة أناس لا يعرفهم، فكر وهو يلف الملفع حول رقبته، بأنّ امتناعها عن مكالمته يعزى بلا ريب إلى كونه عاملا عربيا »[7].

وإذا بحثنا عن سبب حالة الضّياع والتشرّد الّتي كان يعيشها البطل "أحمد" في فضاءات **باريس**، نجد أنّ هذا الشعور بانعدام القيمة وهذا الاحتقار الدّائم **للذّات** تعود

أسبابه إلى الماضي، فالبطل قد هجر عائلته دون أن يسأل عنهم لمدّة طويلة، لقد كان إنسانا غير مسؤول، فقد كان يتجاهل رسائل حميه الّتي كان يبعث بها إليه: « فجأة انتابه حزن عميق أدرك سببه بعد برهة من الوقت، حينما تذكّر الرّسالة الّتي تلقّاها منذ حوالي ثماني سنوات، الّتي تضمنت خبر وفاة ابنه الوحيد البالغ من العمر عامين، تذكّر تلك السّعادة الّتي أحس بها أيام استعداده للعودة إلى قريته... وكيف أنّه ألغى مشروعه بعد تلقيه الرّسالة، وفي استياء فكر بأن مسألة تبرير تصرّفه ذلك لا زالت رغم مضي العديد من السنوات تلحّ عليه بنفس الحدّة.» [8].

لقد كان لحادثة وفاة ابنه الصّغير بعيدا عنه وقعها العميق في نفس البطل، لقد ظلّ يشعر بالذنب طوال فترة مكوثه في **باريس** رغم مرور السّنوات، لقد كان الشّعور بالنّدم يعتصر قلبه لأنّه كان يدرك أنه لو عاد لتغيّر مصيره، لما عاش هذه الحياة الفارغة من كل هدف أو قيمة، ولعلّ شعوره بالذنب وعدم المسؤولية هو ما جعله دائم الاحتقار لذاته، هو ما جعله إنسانا مهزوزا دائم الخوف والتردّد، ضائعا لا يكاد يدخل مكانا حتى يخرج منه ليقصد مكانا آخر.

إنّ شعور البطل بالضّياع لا يعود فقط إلى كونه يعيش في فضاء أجنبي غريب عنه، وإنّما يعود أيضا إلى أنّه قد فقد كل ما يربطه بوطنه الجزائر، فقد توفي ابنه وبعدما عاد إلى وطنه وقريته وجدها مدمّرة ووجد زوجته قد توفيت أيضا: « وحينما عاد إلى قريته، بعد ثلاث سنوات من وفاة ابنه، وجد زوجته قد توفيت بدورها، فرجع إلى فرنسا يجر وراءه الخيبة والعار...» .[9]

وهكذا، حين فقد البطل السّبب الّذي من أجله يشقى ويتعب، فَقَدَ معه الرّغبة في الحياة: « .. منذ ذلك الوقت عرف العذاب الأليم النّاجم عن عدم إحساس المرء بالاحترام لنفسه» [10]، ومن هنا ضاقت به كل الأمكنة وتعاظم في داخله احتقاره لنفسه فصار يعيش حياة المشرّدين، كان ينتقل بين الأمكنة المختلفة ويجوب الشّوارع دون وجهة محدّدة، وقد وظّف الكاتب للتعبير عن هذا الضّياع تقنية سردية تبعد القارئ عن الحبكة التقليدية في البناء الروائي، وهي توظيف ما يعرف **بالرحلة في المكان**، ونعني بذلك أن الشّخصية كثيرا ما تكون "ضيفة على المكان" تباشره مباشرة المكتشف أو الملاحظ، ومكوثها فيه مؤقت يحمل معنى الرحلة إذ يرتبط بفترة زمنية محددة،[11] و"**إبراهيم سعدي**" في نصه هذا، قد برع في جعل البطل دائم الترحال بين مقاهي وشوارع وأبنية باريس الباردة وشوارعها الفسيحة بحثا عن الرّاحة النفسيّة التي فقدها في وطنه وفي بلاد الهجرة.

ومن أمثلة ضياع البطل وترحاله في الأمكنة نجد: « حينما انتهى من شرب قهوته عزّ عليه أن يترك دفء مقهى "اللوبيت" ليعرّض نفسه وبذلته الزرقاء الجديدة للأمطار الغزيرة، بالإضافة إلى أنّه لا يعرف إلى أين يذهب إن هو غادره.» [12].

وبناءً على ما تقدّم نستخلص أنّ المكان يعدُّ عاملا أساسيا من عوامل تأكيد الوجود وتحقيقه، فالبطل لم يستطع التأقلم مع كل الأمكنة لأنّه قبل كل شيء لم يستطع التصالح مع ذاته، فقد ظلت ذكريات الماضي المخزية تلاحقه وتأسره، وبذلك مارس الماضي سلطة قوية عليه منعته من عيش الحاضر في سلام وسكينة وتصالح مع الذات، لذلك كانت الأمكنة ترفضه.

ونحن إذ نقول ذلك لا ننفى أن **"الآخر"** الّذي يُعدُّ جزءا لا يتجزّأ من هذه الأمكنة كان يرفض البطل كذلك لأسباب تاريخية صداميّة جمعت بينهما، ومن هنا تعاظم في داخله شعور قاتل بالاغتراب والاحتقار والضياع.

2- 1- ب: "الأنا" الجزائري في الميراث التاريخي الفرنسي: (الأنا المعتدية):

ذكرنا سابقا أنّ الثّورة التحريريّة باعتبارها تيمة مركزية في معظم الأعمال الرّوائية الجزائرية، كانت تُقدَّم للقارئ **كمرجع تاريخي** يؤطّر علاقة **"الأنا"** الجزائري بـ **"الآخر"** الفرنسي، وهو ما حدث في نص رواية **"المرفوضون"**، فقد وظّف الكاتب هذا الموضوع كمرجع تاريخي يفسّر ويبرّر للقارئ أسباب ذلك الكره الشديد الّذي كانت تكنّه معظم الشخصيات الغربية (الفرنسية) للأنا الجزائري وبصورة خاصة لبطل الرواية "أحمد"، هذا الجزائري، العامل البسيط الأمّي، الذي كان محاطا بالكره والرفض من قبل كلٍّ من جارته "ماري" و"سوزان" و"جان" - صديق ماري- الّذي خاض الحرب ضد الجزائر مع زوجها "برنار".

لقد كان "أحمد" يتساءل دائما عن سبب كره جارته "ماري" له، ولم يكن يجد جوابا لتساؤلاته، إلى أن جاء يوم عرف فيه سرَّ هذا الكره الّذي يبدو أنّه يعود إلى أسباب تاريخية متعلقة بموت "برنار" زوج "ماري" على يد الثّوار الجزائريين في حرب التحرير. وبالرّغم من أنّ "أحمد" لا علاقة له بمقتل زوج "ماري" إلاّ أنها كانت تحمّله دائما مسؤولية مقتل زوجها لأنه **جزائري**، ولذلك كانت **تخاف** منه وتخشى أن يقتلها كما قتل الجزائريون زوجها زمن حرب الجزائر وفرنسا:

« - لقد فكّرت دائما بأنّه لا مبرِّر لخصومتنا.

- بالنّسبة لي هناك أسباب لا يمكن لي أبدا التغاضي عنها... لقد حطّمتم حياتي.

- أنا حطمت لك حياتك! صاح في دهشة.

- أنت أو أمثالك... الأمر سواء عندي. كانت تتحدّث بصوت من يتّهم أحدا بارتكاب جريمة شنعاء، وكان الاندهاش قد تملكه، استولى عليه إلى حدٍّ ما إحساسُ رجل ألصقت به جريمة ارتكبها غيره. »[13]

لقد رغب "أحمد" أن يزول سوء التفاهم بينهما وينطلقا في علاقات جديدة بين **"الأنا"** و**"الآخر"**، بينه وبين جارته الفرنسية، علاقات خالية من الصّراعات المريرة، لذلك فقد واصل حديثه معها ليُزيل الخلاف وسوءَ الفهم:

« - من تعنين يا سيدتي؟ فأنا لم أقتل لا زوجك ولا أيّ شخص آخر!

- أعني أنتم الجزائريين... لقد قتلتم زوجي أثناء الحرب... لقد كان حبي الوحيد، حطمتم حياتي... هل تريد بعد هذا كلّه أن أكن لك الحب؟» .[14]

وعندما أدرك "أحمد" أبعاد المسألة وجذورها التّاريخية، أراد أن يوضّح لجارته أنّ فرنسا هي الظالمة والمعتدية لأنهّا قتلت أزيد من مليون ونصف مليون جزائري وبرغم ذلك فهو لا يحقد عليها، غير أنّه لم يستطع إقناعها بل ضاعف فقط من حقدها عليه، فهي كانت متمسّكة بقناعاتها، ومعتقدة أنّ ما يقوله "أحمد" كذب وخداع، فكيف تقتل فرنسا كل هذا العدد من الجزائريين، وتنتصر الجزائر رغم ذلك: «... غير صحيح... فلو قضت فرنسا حقا على مليون ونصف مليون جزائري كما تقول لما ربحتم الحرب أبدا، ولكانت الجزائر الآن خالية منكم ».[15]

لقد كانت "ماري" تنتهز كلّ فرصة تتاح لها لتعبِّر عن كرهها للجزائريين، ولعلّ ما أجّج شعور "ماري" بالحقد نحوهم، آراء "جان" والمعلومات التي كان يقدِّمها لها عن المناضل الجزائري زمن الحرب: «لقد حاول بمختلف الوسائل أثناء الحرب اقتلاع معلومات من **الإرهابيين** ولكنّه كان كمن يستنطق حجرا، قال لي لا يوجد في نظرهم أيّ فرق بين السجن وأيّ مكان آخر... الموت والحياة عندهم سواء... لو يحدثك "جان" عن حياته في الجزائر لعرفتِ في تلك الحالة بماذا يتعلّق الأمر... إنهم لا يخافون من أي شيء "لينا" حتىّ البوليس... هل تظنين بأنهم بشر مثلنا؟ فلأنهم متوحّشون حاولت فرنسا رفعهم إلى مستوى الحضارة... ولكن لا يمكن أن تحوّل الوحش إلى إنسان... هذا ما لم تدركه فرنسا. »[16]

من هنا نستخلص أن **فرنسا** كانت تحاول تقديم صورة مشوّهة عن المجتمع والفرد الجزائري لتضليل الرأي العام الدّولي والفرنسي حتّى تبرِّر احتلالها، وأنّها جاءت إلى الجزائر حاملة لمشروع حضاري يخدم الشعب الجزائري ويساعده على مواكبة التطوّر.

2- 1- ج: "الأنا" العاملة و"الآخر": (الأنا المستغلّة):

إنّ آلية الإنتاج في دولة أوروبية صناعية كفرنسا تعتبر العامل العربي مجرد أداة إنتاج لا يختلف كثيرا عن الآلة التي يشتغل عليها، لذلك صارت المصانع الفرنسية معقلا لاستلاب كرامة العمال، هذه اليد العاملة العربية التي تتقاضى أبخس الأجور، في شتى مجالات النشاط المرهق، وتتلقى معاملة لا إنسانية سواء في الشارع أم المصنع أم المقهى كما كان يحدث للبطل أحمد: « ... منذ أن دخل إلى مقهى رفض خادمه أن يناوله ما طلبه منه مضيفا بأنه ليس هناك ما يدعو إلى أن يتأثر شخصيا ما دام المقهى ممنوعا عن جميع العرب ».[17]

وكثيرا ما عبّر **"الآخر" الفرنسي** عن حقده على **"الأنا" الجزائري** بارتكاب جرائم بشعة ضد العمال الجزائريين، كل ذلك في جوٍّ من التسامح من قبل سُلُطات الأمن الفرنسية، وهو ما حدث للبطل "أحمد" الّذي لقي حتفه على يد رجال البوليس الّذين استغلّوا كونه عاملاً جزائريا بسيطا لينهالوا عليه بالضرب "بالهراوات"، هذا الضرب المبرح الّذي تسبب في مقتله لينسى الجميع أمره، ويلفّ الجريمة كالعادة نوع من الصّمت الّذي غالبا ما يتم بتواطؤ من الشّرطة الفرنسية نفسها ويبقى المجرم بدون عقاب: « ... كانت الساعة حوالي الثانية عشرة ليلا وكان الشّارع خاليا، عاد الشّرطي الموجود خارج السّيارة يسأله:

–ما هو عملك؟

–لم يعد لي عمل.

–لماذا؟

– كنت أعمل في مصنع "كونتبورغ" ثم فصلوني...

–ما دمت بلا عمل فإنّه يسهل علينا أن نلقي بك في الطائرة الأولى المتوجهة إلى بلدك...» .[18]

لم يكن "أحمد" يدرك أنَّ المشهد الذي رآه قد يتسبّب في مقتله فقط **لأنه عربي**، لقد شهِد "أحمد" حادثة اعتداء "رجال البوليس" على فتاة تدعى "ميشال"، ولأن الشرطة الفرنسية لا تريد أن يتكلّم "أحمد" العامل الجزائري العربي عن جرائمها قامت بإسكاته

بطريقتها: «... في تلك الأثناء خرج شرطيان آخران من السّيارة... كان الشيء القليل الّذي أظهروه له مما ينتظره في حالة ما إذا فتح فمه، عبارة عن سيل من الضربات في جميع أنحاء الجسم بقبضات اليد وبالأرجل والهراوات حتىّ طرحوه أرضا، وبعد ذلك اندسّوا في سياراتهم الّتي انطلقت كالبرق، بينما "أحمد" بات في عداد الموتى. »[19]

ذلك هو المصير الّذي يترصّد كل عامل جزائري، فكثيرون هم الّذين تُزهَق أرواحهم في ظروف يلفها الصّمت والغموض، دون أن يثير ذلك ضجة تذكر.

نصّ رواية "المرفوضون" إذن يصوِّر حياة العمال الجزائريين البائسة في **فرنسا**، حياة بلا معنى ولا هدف: «... وفي الخارج لسعه برد قارس. ألقى لعنات حانقة على حياته البائسة القذرة التي لا معنى لها، حياته كذلك الضّباب الكثيف الكئيب الّذي غرق فيه شارع "لوفيك"... بدا له من السّخف التوجّه إلى عمله وأنّه سيكون أكثر حظّا في بلده حتىّ ولو لم يجد سوى الحشيش ليقتات به.» .[20]

أماّ عن استغلال العمال العرب ومعاملتهم كآلات لا تتعب ولا يحقّ لها أن تحتج، يضيف الكاتب: « ... كان لا يزال يسير (أحمد) وراءه حينما عادت إليه الفكرة الّتي أصبحت الآن راسخة في ذهنه: إنّ رئيسه يجعله يتخيّل نفسه كآلة من الآلات لأنّه هو نفسه قد تحوّل إلى آلة. »[21]

إنّ هذا الموقف يحيلنا إلى **جدلية السيّد والعبد** الّتي أشار إليها **هيجل** في فلسفته، فالغربي دائما يرى نفسه تلك **الأنا المركزية المتعالية**، الّتي ينبغي على كل **"آخر"** أن يتماثل لها ويقرَّ بسيادتها عليه.

إن السيِّد وفق ما يراه **هيجل** يتعرّف إلى ذاته بصفته حرية لم تعد فقط قيمة ذائبة، ولكنها صارت حقيقة موضوعية بفضل اعتراف "الآخر" بها وبتماثل هذا الأخير لها. وقد فصل الحقيقة المحسوسة، عن الشيئية (choséité)، بينما يرتبط السيّد، في الآن نفسه، بالشيء وبالعبد، وبكل واحد منهما بواسطة الآخر: يرتبط بالعبد بواسطة الكون- المعطى- المستقل، الّذي لم يستطع العبد أن يقوم بالتجريد لمعرفته خلال الصّراع، والّذي جعله مرتبطا بالسيّد الّذي يسيطر على هذا الكون المعطى. ويرتبط السيّد بالشيء بواسطة العبد، الّذي يرتبط، كما قلنا، بالشيئية بصفته وعيا لذاته لم يتوصل إلى إشباع رغبته الإنسانية فأسقط الحرية على السيّد، ليجبر السيدُ عندئذ العبدَ على أن يعمل من أجله، وأن يحضر له أشياء الطبيعة، وهكذا يصبح العبد الوسيط بين السيّد والشيء، فيحضره له، ويكتفي السيّد بالتمتع باستهلاك الشيء الّذي أحضره أو أنتجه العبد.[22]

إنّ العامل الجزائري لطالما كان يتعب ويشقى من أجل أن يتمتّع "الآخر" الفرنسي بالرفاهية ويقوّي اقتصاده ويطوِّر بلده، فلولا هذه اليد العاملة العربية الرّخيصة لما استطاعت الدّول الأوروبية أن تحقق هذه المكانة الصناعية الكبرى، ومن هنا فإن اليد العاملة الجزائرية كانت بمثابة الوقود الّذي به تتغذّى وتتحرّك القوى الإنتاجية الصناعية الأوروبية.

2- 2- تمثلات "الآخر" في رواية المرفوضون:

2- 2- أ: الآخر ضمن العلاقة: مستعمِر/ مستعمَر: (الآخر الكولونيالي):

إنّ المتتبّع لتاريخ أوروبا في القرن **التاسع عشر**، يدرك أنّ احتقار الأوروبي للآخر العربي يشكّل العلامة المميَّزة لهذا العصر بصفته عصر الاستعمار الصناعي الأوروبي، فالاستعمار كثيرا ما اقترن مع نهاية القرن **التاسع عشر** باحتقار **الآخر**، هذا الاحتقار الّذي يمثِّل الشّعور بالتفوّق والسّيطرة التي يستحيل على المستعمِر أن ينجو منهما.

ولعلّ الشرق المتوسطي- وبصورة خاصة العالم العربي- يمثِّل الصورة الأشمل والنّموذج الأوضح الذي تجسَّد فيه الاحتقار الغربي للشّعوب المستعمَرَة، فهو بالنّظر لقربه الجغرافي من أوروبا وثرواته الكثيرة يحتل مكانة مميّزة لديها، ذلك أنّها كانت تطالب بثرواته وترى بأنّ الشرق المعاصر غير جدير بها.

وعليه نجد أن هذا الشّعور بالتفوّق الّذي يرجع إلى الطبيعة الاستعمارية يلوِّن كل مواقف "الآخر"، انطلاقا من كونه يرى أنّ مادة **الشرق** لا يلزمها سوى أن تُعجن بعبقرية **الغرب**، لكي تُنتِج أبناءً جديرين بها.

إنّ أوروبا هي هنا لكي تقوِّم هذه الأرض التَّعسة، والخصبة حتى الآن بلا طائل، إذ أنّها مقدر لها أن تؤول تحت حكمها.[23]

ولأنّ **"الآخر"** الفرنسي كان يحمل النزعة الاستعماريّة نفسها، لم تخل نظرته إلى **"الأنا"** الجزائري من الاحتقار، وهو الأمر الذّي يتّضح لنا من خلال مواقف بعض الشّخصيّات الفرنسيّة التي عبّرت عن عدائها للأنا الجزائري ولحرب التحرير الجزائريّة، ولعلّ من أهمّ هذه الشخصيات، شخصية "جان" صديق "برنار" الذي شارك معه في الحرب ضد الجزائر.

شخصية "جان" الّتي أولاها **إبراهيم سعدي** أهمية خاصة، قد قدّمت لنا الرّوح الكولونيالية العدائيّة التي يمتاز بها **"الآخر" الفرنسي**، تجاه **"الأنا" الجزائري** الّذي يرفض وجوده على أرضه.

فإذا كان "برنار" يمتاز بصفات ينبغي ألاّ تتوفّر في رجل الحرب كالجبن والخوف من الموت وإبداء الرّحمة والشفقة على**"الأنا" الجزائري** الذي كان يرى أنّه لا يستحق ما يحل به من جرائم، خاصة إذا تعلق الأمر بعمليات الإبادة الجماعية للقرى الرّيفية الفقيرة، واغتصاب النساء وقتل الأطفال، فإن "جان" كان على عكس ذلك رجلا تجتمع فيه كلّ صفات رجل الحرب الّذي لا ينساق نحو عواطفه، ولا يسمح لها أن تتحكّم فيه: «لم يكن بإمكانه أن يكون مثلي، لقد كانت لديه كل الصّفات التي يجب ألاّ توجد عند رجل حرب، كان من الممكن أن يبرز كثيرا لو كان شاعرا أو كاهنا، أمّا كرجل حرب فلا يساوي شيئا...».[24]

هكذا كان يبدو "برنار" لِـ" جان " شخصا ضعيفا، وهو بذلك لا يصلح أن يكون رجل حرب. أمّا "جان" فهو رجل يعشق الحرب وسفك الدماء، يسكن في داخله كره شديد للعرب عامة وللجزائريين خاصّة، مهنته القتل.

لقد سعى "جان" جاهدا لإقناع "ماري" بأن زوجها خائن، ولكنها لم تكن تقتنع بذلك فهو في نظرها ذلك البطل الّذي ضحى بحياته من أجل أداء واجبه، وبالرّغم من أنها لم تكن توافقه آراءه وموقفَه من العدو، إلاّ أنها لم تكن لتصدّق أنّ حبيبها خائن: «ما أؤاخذه عليه حتىّ اليوم يا "جان" هو أنه كان متعاطفا معهم...».[25]

لعل سعيَ "جان" الحثيث لإقناع "ماري" أن زوجها "خائن" نابع من كونه كان يريد أن يقنع نفسه قبل أيّ شخص آخر أنّ "برنار" كان يستحق القتل لأنه جبان، فهو لم يكن يوافقه على قتل الأطفال واغتصاب النساء لذلك قتله، وهو اليوم يزور زوجته ويتباهى ببطولته وكلّ ما قد حقّقه من نصر على العدوّ أثناء الحرب. إنّه يحاول إقناعها أنّ زوجها لم يكن بطلا كما كانت تظن: «...ذلك اليوم كان يزرع النار في مجموعة من النساء والعجائز والأطفال، انتقاما لمقتل أحد الضبّاط خلال معركة جرت بأحد الجبال المجاورة، فسمع "برنار" يتضرع إليه بقوله: كفى أيّها الرقيب، كفى أرجوك، وراح يهدّده ببندقيّته أنه سيقتله إن لم يتوقف، وإذا به يسبقه في ذلك ويطلق عليه النار برشاشته ويرديه قتيلا ويصيح: أرأيتم! هذا الأبله أراد قتلي، رأيتم، أليس كذلك؟ كان هو البادئ أليس كذلك؟ ثم بصق على جثّته الدّامية وقال في تأفّف: مت أيها الحقير...».[26]

لقد وضّحت لنا الرّواية من خلال المقارنة الّتي عقدتها بين "جان"، **"الآخر"** الذي يجسد الرّوح الاستعمارية و"برنار" الذّي كان يرفض جرائم القتل غير المبرّرة ويتعاطف مع المستضعفين، أن هنالك من الجنود الفرنسيين من شارك في الحرب مجبرا، أو منساقاً وراء ما كان يصدره **"الآخر"** الفرنسي من أحكام في حقّ **"الأنا" الجزائري** في فترة الحرب **الجزائرية الفرنسيّة**.

ولعلّ من بين هؤلاء الّذين أُجبروا على المشاركة في الحرب، الجندي "سارج" الّذي خسر كل أفراد عائلته أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما كان الجنود يعتبرون الحرب مهنة كسائر المهن: «إنهم يعتبرون بأن وظيفتهم هي قتل وإلحاق الهزيمة بالعدو وأنّ الذي لا تعجبه هذه الحالة ما عليه إلا أن يبحث لنفسه عن مهنة أخرى لا تحتاج إلى إراقة دم...».[27]

في الحقيقة إن هذا التّصور كان سائدا في كلِّ أوروبا، فهي لطالما كانت تؤمن بأنّ لها الحق في السيطرة على دول الشّرق، لذلك كانت ترى الاستعمارَ ضرورة يجب تحقيقها، ولعلّه لذلك صار **"الآخر" الأوروبي** بصورة عامة يرى الحرب مهنة كباقي المهن، إنها مهنة ذلك القرن- القرن التاسع عشر- المفضلة لأنها تعزّز الرّوح الكولونيالية وتكرّس فكرة المركزية الأوروبية التي تسعى إلى مماهاة الآخر غير الأوربي بالذّات المركزية الأوروبية، والنظر إليه بمرآة الأنا المتسلطة التي ترمي إلى خلق آخر شرقي جديد بروح وفكر وتصوّر أوروبي.

لقد وفّق الرِّوائي في خلق شخصيات تتوافق وتتماهى مع الفضاء العام للرّواية المتمثّل في مقابلة **الأنا بالآخر** حضاريا وتاريخيا وسياسيا، كما أنّه قد عُني بشكل واضح بإبراز ملامح شخصياته الخارجية والداخلية من أجل إظهار أبعادها المختلفة، وقد استعمل لذلك تقنية **التقابل بين الشّخصيات** في بعض الأحيان: "برنار" مقابل "جان"، "جان" مقابل "أحمد"، "ماري" مقابل "جان"، ونلمس ذلك في المواقف والآراء المتضاربة الّتي تعبر عنها هذه الشّخوص الرّوائية.

وبرغم الهيمنة الواضحة لشخصية البطل في الرّواية، باعتباره يقدم لنا معاناة **"الأنا"** المستمرة وصراعها المستمر مع ذاتها ومع " الآخر"، إلاّ أن ذلك لا يلغي الدّور الّذي اضطلعت به باقي الشخصيات سواء الجزائرية أم الغربيّة، فكل شخصيّة وُظّفت لتخدم رؤية خاصّة حول **الأنا أو الآخر** أو حول العلاقة المتوتّرة الّتي تجمع الطرفين، وكل شخصية قد أولتها الرّواية حقّها من الاهتمام، فقد تناولت جميع جوانبها بكثير من الدقة، خاصة تلك الشخصيات الّتي كانت تساهم في تغيير سير الأحداث في الرّواية كـ "ماري" و"جان" و"أحمد".

ولعلّ **إبراهيم سعدي** باعتماده على السّارد "**الخارج حكائي**" الذي يضطلع بمهمة السرد والتنسيق بين الشخصيات، قد أعطى الحريّة المطلقة لشخصياته الرّوائية لتعبر عن صوتها الخاص ونظرتها الخاصة لذاتها وللآخر، دون أن يمارس عليها سلطة فوقية، وهو ما جعل الرّواية تمتاز بخاصية تعدد الأصوات وتبتعد عن صفة الصّوت الواحد.

إنّ شخصية "جان" التي اعتنى السارد بإبراز جوانبها الدّاخلية قد قدمت لنا نموذجا واضحا عن "**الآخر" الكولونيالي** بما تحمله من مواقف معادية للآخر غير الأوروبي وخاصة العربي.

2- 2- ب:الآخر في الميراث التاريخي الجزائري (الآخر العدو):

لقد قدّم لنا **إبراهيم سعدي** في الصّفحات الأخيرة من روايته صورة عن الدّمار والخراب الذي ألحقه "**الآخر" الفرنسي** بالقرى والمداشر الجزائرية، كما قدم لنا كذلك وقائعَ وأحداثا تعود إلى فترة الحرب. وقائعُ تبرز ما اقترفه المستعمِر الفرنسي في حقّ "**الأنا" الجزائري** من تقتيل وقصف مستمرٍّ للمداشر والقرى، وكيف كان "**الأنا" الجزائري** يناضل في سبيل الحفاظ على أرضه وعرضه متصديّا لاستراتيجية استعمارية تقوم أساسا على حرب إبادة مادية ترتكز في جانبها المادي على **إفناء العنصر البشري للشعب الجزائري** وذلك عن طريق حرب مباشرة شاملة، بجيوش جرارة، منظمة ومدرّبة ومسلحة أفضل تسليح، يقودها الضباط، ضد الأهالي العزّل في القرى والبوادي والأرياف، أو في مواجهة مقاومة شعبية قليلة العدد والعدة.[28]

لقد دمرت الطائرات الفرنسية قرية "أحمد" بالكامل في إحدى الغارات الجوّية الّتي كانت تستهدف المدن والقرى، فقد انتهز "**الآخر" المستعمِر** غياب الرجال والشباب عن القرية ليهاجم الأطفال والشيوخ والعجزة والنساء: «... بعد حوالي ساعة رأوا طائرتين تحلقان فوق قريتهم ثم سمعوا دوي انفجار أول قنبلة، غير أنهم لم يروا منازلهم وهي تتهدم. الطائرتان تنخفضان وترتفعان أثناء طيرانهما... كان هديرهما يصل إليهم، ظلوا يسمعون دوي انفجار القنابل إلى أن اختفت الطائرتان عن أنظارهم».[29]

من هنا يمكننا القول إنّ "**الآخر"الفرنسي** قد مثّل "**العدو**" لفترة طويلة من تاريخ الجزائر، و"**الأنا" الجزائري** برغم ما لقيه علي يديه من التقتيل والتهجير والتجويع لا يحمِّل جيل الحاضر ما حدث في الاحتلال، وعلى خلاف ذلك قد قدّمت لنا الرّواية "**الآخر" الفرنسي** الّذي يكنّ الحقد والكره لِـ"**الأنا" الجزائري**، هذا الكره الذي يظهر في معاملته العنصرية للمهاجر الجزائري.

خـاتمـة:

بناءً على ما تقدّم وانطلاقا من قول **تودوروف: "إنّ الآخر يتعيّن اكتشافه"** نخلص إلى أنّ الوعي بالذات يقتضي الوعي بالآخر، كما أنّ وجود هذا الآخر هو شرط ضروري لوجود الذات، ولعلّ ما يثير الإشكال هو أن هذا الاكتشاف ينطوي - من حيث المصطلح والممارسة- على نزعة تمركز ثقافية، وإذا أمعنا النظر في عملية اكتشاف الآخر والكتابة عنه بل وتمثيله في الخطابات الفكرية عامة والإبداعية الروائية بصورة خاصة فإنّنا سننتهي إلى القول إنّ هذه الخطابات الروائية الحديثة - العربية عامة والجزائرية بشكل خاص- هي تعبير جلي عن امتداد وعي الذات إلى الآخر، فالاكتشاف وكذا التمثيل الروائي للذات أو للآخر هو ضرب من ضروب توسّع الوعي وامتداده من حدود الذات إلى حدود الآخر.

هذا بالإضافة إلى حقيقة أنّ هذه الذات (الأنا) في اكتشافها للآخر لا تدرك واقعا جديدا ومباشرا، فكلّ اكتشاف للآخر إنّما يتم عبر توسط المتخيّل والصور والتمثيلات التي تكوّنها الثقافة عن الآخر، وهو ما يدفعنا إلى القول إنّه ليس ثمّة "اكتشاف" في حقيقة الأمر، فالذات تجد الآخر كما كانت تريده أن يكون وهو الأمر الذي يجعلها تقع في فخ ومعضلة ثقافة الاختزال، اختزال الآخر في جملة من الأحكام والتصوّرات المسبقة التي تفضي إلى كتابات روائية جزائرية تكرّر نفسها كلما تعلّق الأمر بالكتابة عن الآخر الفرنسي، ومن هنا لا نستغرب هذا التكرار المبالغ فيه أحيانا في تمثيل الآخر الفرنسي تمثيلا لا يخرج عن إطار الإرث الاستعماري الذي يعد كيانا ضاغطا على هاته النصوص وسلطة فوقية توجّه الكتّاب إلى نمط معين من الكتابة من شأنه أن يعمّق الهوة بين "الأنا" الجزائري و"الآخر" الفرنسي، فالرواية الجزائرية- ولا نقصد هنا التعميم المطلق- حتى إن وجدت الآخر على غير ما تتوقعه وتنتظره، فإنها تجهد من أجل تحويله ليكون على الصورة التي رسمتها له، وعلى الوضعية التي تريد أن يكون عليها، وهو الطرح الذي لا تخلو منه الروايات الغربية إذا ما تعلق الأمر بالكتابة عن الآخر العربي عموما والجزائري بشكل خاص.

وعليه فإنّ تمثيل الأنا وكذا الآخر في الأعمال الروائية العربية وحتى الغربية لا يخرج عن أحد هذين الاتجاهين: التمثيل الثقافي غير التخييلي (الحقيقي) وتمارسه أشكال من الخطابات التي تدّعي تجرّدها من الخيال ونزوعها إلى الحقيقة وذلك بقراءة الأنا والآخر انطلاقا من المرجعية التاريخية التي تتّسم بالواقعية، والتمثيل الثقافي التخييلي، ونعني به التمثيل الذي كانت ولا تزال تمارسه أشكال من الخطابات الروائية التي تقوم على السرد

التخييلي الذي يعتمد فيه الروائي على اجترار الصور النمطية عن الآخر الشرقي أو الغربي، والتركيز على المتخيّل من هاته الصور، وتمثيلاته للآخر في زخم انخراط الثقافات في صراعات وتفكّكات واندماجات ثقافية كبرى لم تكن قائمة في اللحظة التي تشكّل فيها هذا المتخيّل وهذه التمثّلات، وهو الأمر الذي قد يوقع الروائي في فخ مغالطة تاريخية كبرى في كتابته عن الآخر وتمثيله له لأن وعيه ورؤيته قد بقيت أسيرة متخيّلات الماضي، وهنا لن ينصف حضور التاريخ ضمن الخطاب الروائي الآخر؛ بل على العكس من ذلك سيجعل علاقاتنا الثقافية الراهنة الصراعية أوالتسامحية علاقات محكومة بأطياف الماضي وشبح الصور والأحكام المسبقة.

ومن جملة النتائج التي خلص إليها تتبعنا لأشكال حضور وتمثيل الأنا والآخر في رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي نذكر:

1- هناك تداخل واضح بين بناء الذّات من جهة، وصراعها في خضمِّ هذا البناء مع **"الآخر"**من جهة أخرى، وصراع **"الأنا"** في تحديد هويّتها مع ذاتها ومع **"الآخر"**، جعلها تعيش **أزمة هويّة** حادة نلمس أبعادها المختلفة في الرّوايات التي تناولت **موضوع الهجرة**، فقد نقلت لنا هذه الرواية ما يتلقاه المهاجر الجزائري من معاناة واستغلال وإذلال على يد **"الآخر" الفرنسي،** وجسّدت لنا حالة الرّفض المستمر الّتي كان يعيشها **"الأنا"** الجزائري في فضاءات **"الآخر"**، هذا الرّفض الّذي دفع بطل الرّواية "أحمد"حياته ثمنا له.

2- إنّ التمثيل الأكثر حضورا **"للآخر"** في رواية **المرفوضون**، هو التمثيل **الكولونيالي** للآخر الفرنسي الذي يحمل نظرة احتقار وحقد إزاء **"الأنا" الجزائري**، ويرفض كلّ مبادرات المصالحة التي يبديها **"الأنا" الجزائري** تجاهه، وقد لمسنا هذا الحضور من خلال شخصيّتي "جان" و"ماري" اللّتين أولتهما **الرواية** أهمِّية خاصّة، وقد استعان **إبراهيم سعدي** بالبعد التاريخي لإظهار الجانب الكولونيالي في هاتين الشّخصيّتين فسرد فصولا من الثورة التحريريّة ليجعلها مرجعا تاريخيّا يبرِّر التنافر الحاصل بين **"الأنا" و"الآخر"**. أمّا من النّاحية التقنيّة فقد اعتمد على مقابلة **"الأنا"** بـ **"الآخر" وجها لوجه** من أجل رصد نظرة كلٍّ منهما إلى الآخر، وتتبّع ما ينتج عن هذا اللّقاء من مواقف عكست لنا في الصّفحات الأخيرة من الرِّواية صعوبة قيام حوار هادئ بينهما بسبب تدخّل الموت كطرف ثالث في علاقة **"الأنا"** بـ **"الآخر"**.

3- لقد قدم لنا الخطاب الروائي صورة عن **الأنا الجزائري** الذي لازمته حالة العجز والبؤس والخضوع، وطبع يوميّاته التشرّد والضّياع والموت أحيانا، ذلك أنّ **"الأنا" الجزائري** المتمثّل في الرّواية في العمال الجزائريّين، قد جمعهم البؤس ووحّدتهم الخيبة والمصير

المشترك والقلق الدّائم ممّا تحمله لهم الأيّام في بلاد الغربة، وبرغم هذا الوضع المقلِق، لم يقدِّم لنا نصّ الرواية **"أنا"** تحقد على**"الآخر"** مثلما كان "الآخر" يحقد عليها ويتمنّى زوالها.

هوامش البحث:

[1]- إبراهيم سعدي كاتب وروائي جزائري في رصيده الإبداعي مجموعة من الروايات نذكر منها: **المرفوضون** سنة (1981)، **النخر**، **فتاوى زمن الموت** سنة (**1999**)، **بوح الرجل القادم من الظلام** سنة (**2002**)، **صمت الفراغ** سنة (**2006**)، وروايتي **"كتاب الأسرار" و"الأعظم"**. ومؤلّفا ضم مساهماته في مجال النقد الأدبي حمل عنوان **"مقالات ودراسات في الرواية"** تناول عموما مجمل ما نشره في الصحف والمجلات أو شارك به في الملتقيات.

[2]- نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية، ، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص49.

[3]- الأخرنة أو التأخرن: هي جعل الشّخص أو الجماعة البشرية آخر، أو صيرورة الشخص أو الجماعة آخر أي مختلفا، متمايزا. ينظر، إرفن جميل شك، الاستشراق جنسيّا، تر: عدنان حسن، شركة قدمس للنشر،ط1، بيروت- لبنان، 2003، ص. 17.

[4]- واسيني الأعرج، تجربة الكتّاب الواقعية، الطاهر وطار أنموذجا، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، الجزائر، 1989، ص.58.

[5]- حكيم أومقران، البحث عن الذات في الرّواية الجزائرية، - الطاهر وطّار أنموذجاً- ، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.ط)، الجزائر، 2005، ص.103.

[6] -Suzie Guth, une Sociologie des identités est- elle possible, Actes du colloque, Sociologie IV Tome III, édit L'Harmation, 1994, p21.

[7]- إبراهيم سعدي، المرفوضون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ط)، الجزائر، 1981، ص.7- 8

[8]- المصدر نفسه، ص.6.

[9]- المصدر نفسه، ص.6.

[10]- لعلّ ما ضاعف داخل البطل شعورَه بالاغتراب، هو شعورُه بأنّه ملعون من قبل والده لذلك فهو لن يجد الراحة والسكينة في أي مكان يحل به:" كان والده يأخذه عندما كان صبيا إلى ساحة القرية ويعلن أمام الملأ بأنه يسلط عليه لعنة الوالدين، ويقطع صلة الدم التي تربطه به وينفيه من القرية وينتهي الأمر بالطفل إلى أن يقطع البحر على متن باخرة ويلجأ إلى فرنسا"، المرفوضون، ص.**174**.

[11]- محمد الباردي، الرّواية العربية والحداثة، ج1، دار الحوار، ط2، دمشق- سورية، 2002، ص.233.

[12]- المرفوضون، ص.7.

[13]- المصدر نفسه، ص.155.

[14]- المصدر نفسه، ص.156.

[15]- المصدر نفسه، ص.156.

[16]- المصدر نفسه، ص.96.

[17]- مصدر نفسه، ص.04.

[18]- مصدر نفسه، ص. 194.

[19]- المصدر نفسه، ص.195.

[20]- المصدر نفسه، ص.97.

[21]- المصدر نفسه، ص.22.

[22]- سعاد حرب، الأنا والآخر والجماعة، دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت- لبنان، 1994، ص.8، 9.

[23]- ينظر، تيري هنتش، الشرق المتخيَّل، رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي، تر: غازي برّو وخليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، بيروت – لبنان، 2004، **ص.**251.

[24]- المرفوضون، ص. 67.

[25]- المصدر نفسه، ص.64.

[26]- المصدر نفسه، ص.67.

[27]- المصدر نفسه، ص.51

[28]- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 2007، ص.30.

[29]- المرفوضون، ص. 180.